

مقدمة

وكجزء من بحثي، سافرتُ إلى مناطق نائية، وشاهدتُ مباريات كأس هجن الرحلات في أليس سبرينغز، حيث خُطت الإبل بخطى واسعة، واستطالت أعناقها، وهي تركض غدواً حول مضمار السباق. وقمت بإجراء مقابلات مع أصحاب مزارع للإبل وعاملين في مجال السياحة، وكذلك مع أصحاب أعمال تجارية، بمن فيهم مصدري الإبل. وامتطيْتُ ظهر جمل وتذوقْتُ حليب النوق.

وبقدر ما أردتُ أن يكتشف أطفال أستراليا وكبارها أن الإبل مخلوقات رائعة، أردتُهم أيضاً أن يفهموا الدور المهم الذي لعبته الإبل في حياة المستكشفين والرواد والمستوطنين - دورهم أيضاً في تنمية المناطق الداخلية بالبلاد. حقيقةً، ليس بالإمكان إعطاء الإبل قيمتها الحقيقية، ما لم تختبر بنفسك تلك الامتدادات الشاسعة الحارة من مناطق أستراليا النائية وترى اتساع البلاد، أو تتمشى



عبر بيوت الآباء والأجداد أو البلدات المعزولة التي أضحت الآن أثراً بعد عين.

أتقدم بالشكر والتقدير لرعاة الإبل الأفغان على إسهاماتهم الفعالة في حياة الأستراليين. وأقرُّ بالفضل للجمل الذي جسَّد، بالنسبة لي، تفرُّد المناطق النائية الأسترالية؛ التي هي بمثابة الأثر الرائع الوحيد المتبقي.

لا زالت الإبل الأسترالية تكثر في المناطق النائية المقفرة، ولكن ما الذي يخفيه لها المستقبل؟

جنين براين

الإبل غريبة الأطوار، خرقاء، بطيئة، عصية على الفهم، غيبية، ذات رائحة كريهة، يصعب الاقتراب منها وغير ودودة، مزعجة جداً بأناتها المخيفة في وقت وضع الأحمال عليها. وعموماً منفرة، وتزعج كل شخص على عجلة من أمره. ودائماً ما تبدو سرور أمتعتها من سقط المتاع، وكثيراً ما تتبعثر باستمرار، وتبدو عملية السفر بالجمل في مجملها عملية عتيقة ومثيرة للاستياء.

لكن، عندما تبدأ درجات الحرارة في الإرتفاع متجاوزة 100 درجة فهرنهايت يوماً بعد يوم، وعندما يختفي العلف ويكون ما يمكن العثور هو العليق الجاف فقط، وفي نهاية الأمر، عندما يصبح الماء وإمكانية العثور عليه أملاً صعب المنال، يكون حينها الجمل مفيداً.

ها هو ذا الجملُ باركاً، من غير شكوى ومن غير اكتراث، برح من القوة والراحة، مقاتلاً من شحم سنامه وقادراً على قطع مائتي ميل أخرى.

سي. تي. ماديجان، مستكشف صحراء سمبسون، 1939م.

بخلاف الحيوانات الأخرى التي جُلبت إلى أستراليا، ساعدت الإبل المستوطنين الجُد من الأفغان المجتهدين في تخطيط المناطق شبه القاحلة والصحارى الحارة الجافة، كحيوانات قاطرة وحاملة للأثقال.

وقد تكون رياح الصحراء مَحَت مسارات الإبل، لكن كان وقع أخفافها هو دم الحياة لأولئك الرواد الذين عاشوا وعملوا في المناطق النائية المعزولة. وحملت الإبل المؤن الغذائية والمياه ومواد تشييد المساكن والآليات وأسهمت في نشر التعليم ومد جسور التواصل. كما ساعدت قدرتها على التحمل في القيام بالحملات وإجراء أعمال المسح، وتشبيد الطرق والسكك الحديدية، وتطوير المناجم وتصدير الصوف والقمح. واستخدمت الإبل أيضاً كمطايا للتنزُّه وفي خدمة البريد والزيارات الطبية والسباقات.

لقد كان لكل من الإبل ورعاتها قدرٌ من الأهمية في تاريخ المناطق النائية، ذات الأهمية التي كانت لرعاة البقر والخيول. وأينما سار الجمل، يتبعه الآخرون.

كان تأليف هذا الكتاب مغامرة رائعة. اقترح الفكرة عليّ أحد الناشرين قبل أكثر من ست سنواتٍ خلت. وبدأتُ في البحث في المكتبات، وعلى الإنترنت وفي المتاحف، إلى أن وجدتُ مظروفاً من الصور الفوتوغرافية وملفاً مليئاً بالمعلومات. لم يرَ الكتابُ النور، ولكن تجددت لي الفكرة مرة أخرى في عام 2003م. وبعد عشرة أشهر، أو 1500 ساعة من البحث والكتابة لاحقاً، توفر عندي 36 ملف تحتوي على معلومات ورسائل بالبريد الإلكتروني وأفكار صور ومخطوطات لمقابلات وقصاصات صحف وملاحظات أفلام وأربعة ملفات بلاستيكية تحتوي على 300 صورة تقريباً.